قراءة وصفية عن الأعمال الإجرامية الفرنسية

من خلال مخطوط:

" Journal de Marche de2ème Régiment de chasseurs d'afrique, du17 novembre 1831 au 31 octbre1891"

(يوميات مسيرة لفيلق السرايا-خيالة الجبال- بإفريقيا)

من17نوفمبر1831 إلى 31 أكتوبر1891

تحقيق أ.د. إبراهيم مهديد
جامعة وهران1 احمد بن بلة

- التعريف بالمخطوط

هو في 280 صفحة، منسوخ بمداد أسود وبريشة فنية ولغة فرنسية كلاسكية رائعة في جمالياتها– خصوصا عندما يبدع المؤلف ويتفنن في وصف القتل وإراقة دماء الجزائريين وبطشهم-.

إن هذا المنسوخ- المؤلف هو عبارة عن تأليف من وزارة الحربية الفرنسية، يوجز بإتقان مراحل مسيرة هذا الفيلق ودوره بين 1831 إلى1891، أي منذ نشأته وتكوينه وتدريبه مع التأريخ لأهم الجنرالات والضباط الدين تعاقبوا على إدارته طوال تلك الفترة، انطلاقا من الضابط الكولونيل le colonel l'Etang والكولونيل colonel Oudinot وتريزال Trezèl وبوج وBugeaud والكولونيل روندون(Colonel Randon)* والكولونيل colonel Servat de Laisle والكولونيل Marey وغيرهم أمثال الكولونيلCousin de Montanbun، الضابط الشهير في أحداث" الأغواط" بين1845-1853.

- فالمنسوخ الموجود بأيدينا وهو نسخة أصلية (!) سر ذلك؟ هـ وسر المؤرخين.

- وهدا المصدر، كثيرا مايعتمد على إسناد وثائقي من طراز:

-Annales algériennes.

- les Correspondances particulières des généraux (Moris Isly)

- journal des Marches, Lettres du Duc d'Orléans et le Duc de Nemours

---

* - عندما يذكر اسم Randon ،يقرن مباشرة بالقطاع القسنطيني وشماله منذ تأسيس الفيلق (إبو (le 4éme Régiment في مدينة بجاية للقيام بنفس الأدوار في الشرق الجزائري.

- حجم "المؤلف" main–^{3eme} 1. m^0 pot(Registre) 21سم/70سم

- الصفحة تحتوي على 31 سطر–عموديا، عدد الكلمات في السطر هي مابين 7 و9، ومقروءة.

- محتوى الفهرسة

إن محتوى هذا المصدر تناول مرحلتين من الدراسة والوصف.

الأولى: تتعلق بالجزائر – إفريقيا- فيمابين 1831 إلى1853، و1881 -1882.

والثانية: تتعلق بفترة 1854-1871 وتتطرق إلى حروب وحملات فرنسية أخرى بجزيرة القرم (Crimée)، وإيطاليا والمكسيك والصين وألمانيا.

- أهمية المصدر

يعتبر هذا المخطوط "مصدرا حيا" من بين المصادر العديدة والتي تناولت وجود قوات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مبرزة دورها باستعمال الوسائل الدموية العسكرية لكسر كل المقاومات "الوطنية" و"الشعبية"، وتهدف من كل هذا إلى إخضاع القبائل والأسر والعروش الجزائرية وعبر مختلف المناطق.

إن محتوى هذا المصدر "يوميات مسيرة فيلق السرايا (خيالة الجبال) يضفي المزيد من الشرح الدقيق لمعالجة الأحداث التاريخية المرتبطة بإستراتيجية الاحتلال الفرنسي وعن كيفية الاستعداد لخوض الحروب والمعارك ضد المقاومة الوطنية – بمختلف أوجهها –وذلك بتأسيس وتكوين وتدريب كتائب الجند – المميز- من جهة وإسناد قيادتها للضباط السامين الفرنسيين واللجوء في شكل أخر- بالإغراء والطواعية وشراء الذمم والتوظيف– مع بعض زعماء القبائل والعروش على شاكلة "صبايحية" و"زوواف" (Zouaves) و" دواير" و"زمالة " و"القبائل المخزنية" لتسخير كل هذا في إستراتيجية عسكرية إجرامية للسيطرة والاحتلال قصد بناء مستعمرة فذة بالجزائر.

- توطئة

نربطها بشهادة أحد المثقفين الجزائريين وأعيانها وهو "حمدان بن عثمان خوجة الذي نستأنس بآرائه وأفكاره في بداية هذه الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر، حيث يذكر "بمرآته"[1] «إن مسألة الجزائر مسألة خطيرة لأنها تخص حياة أمة بأجمعها، تتكون من عشرة ملايين نسمة، وهي الآن من سوء الحظ، في نقصان يتزايد من يوم لآخر، بسبب الحروب، والبلاد يقودها الظلم والطغيان منذ ثلاث سنوات ».

كما يشير بحدق ووعي كبيرين «أن الكتاب الذين نشروا مؤلفات عن الجزائر، لم يقدموا إلا بعض المعلومات المشكوك في صحتها عن تلك القارة الفسيحة، وقبل الغز وأن الأوربيين لم يكونوا يعرفون حتى الجزء الساحلي من مملكة الجزائر الذي يقع بين وجدة في المغرب وغدامس في الجنوب الشرقي من مملكة طرابلس»[2]

-الإطار التاريخي لمحتوى المنسوخ (le Manuscrit)

ونربطه مباشرة بأحداث المنطقة الغربية من الوطن وهو القطاع الوهراني الذي عاش تطورات عسكرية واجتماعية وسياسية بعد احتلال مدينة الجزائر من طرف القائد دوبرمون (de Bourmont) ومغادرة الداي حسين باسا الجزائر لها بعد عقد معاهدة الاستسلام مع الفرنسيين. ففي غضون شهور قصيرة تحولت الحملة الفرنسية إلى مشروع احتلال للقطر الجزائري برمته.

فكما دون حمدان خوجة بأن الفرنسيين كانوا يجهلون كل شيء عن الجزائر إلا ماقرأه بعضهم من تقارير الجواسيس ورحلات الرحالة الأوربيين، الأمر جعلهم يعانون من التخبط الإداري والفوضى في تثبيت وجودهم والتعسف في أحكامهم؛ ومما عجل بالمقاومة الوطنية داخل مناطق متيجة في الوسط

1- "المرآة"الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ص48. ترجم إلى التركية باسطنبول عام 1857، نشر في الجزائر بعد الاستقلال من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

2- نفس المصدر السابق ،ص303.

والشرق الجزائري (قسنطينة) وغربه بوهران طيلة فترة الثلاثينات من القرن التاسع عشر.

ونسجل في هذا الإطار محاولة القائد العسكري دوبومون الاستيلاء على مدينة عنابة يوم 02 أوت 1830 واحتلالها لاحقا كنقطة إستراتيجية هامة على البحر المتوسط إذ تعتبر الميناء الرئيسي لإقليم قسنطينة مما سيمهد لاحتلال مدينة قسنطينة في المستقبل.

أما غربا فان "دوبورمون" سيوجه حملته الأخرى اتجاه مدينة وهران والمرسى الكبير. فمدينة وهران أصبحت منذ1791 قاعدة حكم البايات للقطاع الوهراني كله– عوض مدينة معسكر- كان القادة العسكريون من الفرنسيين على دراية كبيرة من "أخبارها وأخبار المرسى الكبير" من خلال تقارير قناصلهم ومن السجلات الاسبانية وخرائطها. كما كانوا يعرفون ضعف أداة حكم الإدارة التركية بوجود الباي حسن وعلاقاته السيئة مع سكان إقليمه وماعايشه من ثورات عديدة بقيادة زعماء الطرق الصوفية كالطريقة الدرقاوية والتيجانية.

من المعروف تاريخيا أن كلا من وهران والمرسى الكبير- وبعد محاولتين في عهد القائد الفرنسي بيرتزال ستقعان في أيدي القوات الفرنسية في 6 فبراير من عام 1831، وعين الجنرال بوييه(Boyer) حاكما عليها، إلا انه سيحاصر داخل أسوار مدينة وهران طوال عام ونصف ويتلقى الهجومات المتتالية من المقاومين الجزائريين. وكلما إستطاع فعله هو ربط وهران والمرسى الكبير بطريق كلفه تجنيد آلاف من عناصر الجيش وفرسان من التنظيم العسكري الجديد (قناصة إفريقيا)Chasseurs d'Afrique .

-تلخيص المحتوى

إن تحليل محتوى هدا المصدر (المنسوخ) "يوميات مسيرة فيلق السرايا – خيالة الجبال- بافريقيا من 17 نوفمبر 1831 إلى 31 أكتوبر 1891" (Journal de Marche du2ème Regiment de chasseurs d'Aarique ,du17 novembre 1831 au 31 octobre 1891). يقود القارئ إلى فهم الوضع السائد في إقليم وهران بعد

سقوط الحكم المركزي والذي ترك فراغا كبيرا حيث عاشت المنطقة في حالة فوضى، مما جعل الناس متحللين من كل التزام، فساد الشعور في المدن بالخطر من التعدي على الحرمات والنهب للأسواق والمنازل والخوف في الطرقات، فلا ولاء لدستور ولاضرائب لخزينة ولا طاعة لقائد.

فالاستنتاج **يوضح** في هذه العملية بمستويين مختلفتين:

هناك المستوى الوطني المتمثل في جمع الشمل والوقوف ضد العد وتحت لواء الجهاد كما أحس به المرابطون ورجال الطرق الصوفية من مسؤولية دينية في القيادة الروحية في ذلك، مع التفكير في حل ديني وسياسي مع أهل المدن لضمان الأمن عمليا مع الأمير عبد القادر ابن الحاج محي الدين بن مصطفى (شيخ الطريقة القادرية في نواحي مدينة معسكر) وهو قائد الحصار ضد وهران.

أما المستوى الثاني فيتمثل أساسا في إستراتيجية الحكام الفرنسيين – بفرنسا- والقادة العسكريين للبقاء بوهران والمرسى الكبير واتخاذهما نقطة تمركز متميز وأساسي قصد السيطرة الشاملة على الإقليم مع إخضاع مدنه وقراه وريفه ومع استعمال أبشع الوسائل القتالية والإجرامية المتنوعة لبلوغ أهدافهم. ومن ذا بداية الاستعداد لتكوين هذا "الفيلق"، فيلق الخيالة والرماة، لكسر أي مقاومة جزائرية مستقبلا.

فمحتوى المصدر يتطرق بتفصيل ودقة إلى الجوانب التالية.

أ- الجانب التنظيمي "لفيلق السرايا" (وهم خيالة الجبال) بناء على المرسوم الملكي من طرف لويس فيليب بتاريخ 19 فبراير 1831 وبداية تطبيقه ميدانيا من 17 ابتداء نوفمبر من نفس العام مع تحديد وجوده الدائم بمدينة وهران وتحديد مهامه الكبرى في القطاع الوهراني– مستقبلا-

فبناء على المادة 1و2 و3 من هذا المرسوم سيسعى القادة العسكريون الموجودون بالجزائر–كلوزيل، بوجو، روندون، بيليسي ولامورسبير- لإعداد

هذا "الفيلق" وتكوينه وتدريبه، مما سيستغرق عام ونصف العام (1831-1832).

والمواد المذكورة في هذا المرسوم تحدد تشكيلة هذا "الفيلق" – نظريا- والذي يعتمد أساسا على ثلاثة سرايا (trois escadrons) تضم 130رأس من الخيول لكل واحدة منهما، يركبها رماة مهرة، رفقةرتلين من الجند تتكون من 20 مشاة.

كما تحدد المواد الأخرى من هذا المرسوم الملكي كيفية انخراط الفرسان الفرنسيين بهذا الفيلق وشروط انضمامهم إليه (التجربة، القامة والقوة البدنية الخ..) مع تحديد دور الفرق المساعدة للفيلق؛ وهم مايقصد به التحاق العناصر المتطوعة من العرب–وهم كثر- ومن القبائل المخزنية "كدواير" و"زمالة" بقيادة مصطفى بن إسماعيل والاغا "المزاري" وصبايحية من بقايا شتات الأتراك وعناصر من زواوة (zouaves) وغيرهم.

ويستشف من محتوى "هذا المصدر" أن مسألة الحصول على الخيول مثلت الصعوبة القصوى في تنظيم هذا "الفيلق" حيث تنوعت مصادر الحصول عليها من داخل إقليم وهران– مع تسجيل مساعدة قاضي أرزي وبعض الشيوخ مع القايد إبراهيم بمدينة مستغانم- ومن المغرب وتونس واسبانيا ومن الجزائر العاصمة. ويسجل هنا إلحاح الحاكم بوييه (Boyer) مع الكولونيل فيتز (Fitz) أما الدوق روفيقو- بالجزائر- للحصول على مايقارب 1200 من الخيول بعدما تم توفير ظروف استقبالها من إصطبل (مسجد خنق النطاح) وتخزين للعلف (ضريح سيدي الهواري).

أنيط حينئذ تكوين هذا الجيش وتدريبه رسميا إلى الكولونيل "ليطون" (l'Etang) وه والضابط المحنك في جبهات القتال ضد بلجيكا في أوربا والذي رافق معه أربعة ضباط أساسين وهم لامبليه (L'Amblet) وليسباردة (Lesparda) وطورياجي (Toriagy) وبوفر (Beaufort) كما جلب معه 41 ضابط من مختلف الرتب يصحبهم 393 مقاتل وأربعة أحصنة مميزة.

فتدارس محتوى "المصدر" المذكور يوحي إلى ذلك الاهتمام الكبير والمتزايد للدور المنوط بهذا الجيش المقاتل من الخيالة، وه والجيش الذي سيحاول ابتداء من1832 لعب دوره لفك الحصار المضروب على وهران وبداية التوغل داخل الإقليم– تدريبه ومناوراته بمنطقة الكرمة قرب وهران وحتى مدينة سيق–مع احتلال كل من مستغانم وأرزي ووترك حاميات بها.

هذا ولم يخف "المصدر" في جانب آخر من التنظيم العسكري "للفيلق" المذكور ذلك الدور المهم والذي ستلعبه فرقة الخيالة من "صبايحية" المرافقة "للفيلق" باستمرار وهم المجندون مع الفرنسيين والذين يقدمون خدماتهم في المعارك والحملات ضد القبائل الثائرة وإخضاعها مع تقديم جميع أنواع المعلومات والأخبار عن الطرف الآخر والمتمثل في المقاومة الوطنية (الصفحة 23 من المنسوخ).

ب- الجانب الميداني – القتالي "لفيلق السرايا"

سجل مجيء "ديميشال" (Desmichels) عام 1832 كحاكم على إقليم وهران، إبادة سكان قرية مسرغين وحرقها كخطوة أولى من الجرائم، تلتها مباشرة حملة همجية دامية ضد قبيلة " لغرابة" شرق وهران وإتلاف حوالي 200 خيمة مع حيواناتها، إضافةإلى مهاجمة (Razias) قبائل بني عامر بواد المالح مثلا؛ مع كثرة الاشتباكات والمناوشات المسجلة مع الثائرين من سكان المنطقة بين 1833 و1834.

فالمسألة في نظرنا، اكتست طابعها التصعيدي من الجانب الفرنسي عندما بويع الأمير عبد القادر سنة 1832- باقتراح من أبيه- إذ باركه الأولياء والأشراف وتجمهر الفلاحون والجنود في سهل غريس يؤمون على البيعة ويدخلون في واجب الجهاد. وقد دخل الأمير عبد القادر مدينة معسكر وجعل منها عاصمة لانطلاق المقاومة وانبعاث الدولة الحديثة؛ وهو الأمر الذي تفطن لخطورته الساسة والقادة العسكريون من الفرنسيين خوفا من تقلب الأوضاع ظهرا عن عقب، مما يجعل "مشروعهم الاستعماري" مهددا من

طرف هذه القوة الوطنية الجديدة، لذا لم تمض على الأمير سنتان في الحكم (1832-1834) حتى استولى على ثلاث مدن رئيسية هي تلمسان والمدية وملیانة.

فالوضع، ومن الناحية التاريخية أفضى لكي يفرض الأمير عبد القادر نفسه في معاهدة ديميشال سنة 1834 التي اعترفت بسلطته على إقليم وهران (باستثناء وهران، أرزي وومستغانم) وعلى مناطق أخرى عبر الوطن. فالحروب والمناوشات التي سيقوم بها الأمير ضد الجنرال تريزال (Trezel) متعقبا فلول جيوشه ومحاصرتها بالقرب من تليلات، ومولاي إسماعيل بضفاف سيق يوم26 جوان 1835 وماسجله من انتصار عظيم في معركة المقطع يومين كاملين (27 و28 جوان) ضد الجنرال تريزال حيث يهزم "قوات الفيلق" شر هزيمة، وهذا الذي عاد إلى وهران محللا بالخيبة وقد ترك وراءه أشلاء من قتلى الضباط الكبار منهم الكولونيل أودين و(Oudinot)، فيرنييه (Vergnet)، بورفيل (Bourville) ومحمد بن حميدة – والجرحى والأسرى (من صفحة 26 إلى صفحة 401 من المنسوخ).

يؤكد "المصدر"، موضوع التحليل أن الأمير عبد القادر كان يتحرك بجيش قوامه 10.000 جندي و6000 فارس.ويذكر أن الأمير كان سيد الموقف عام1835. (Abdel Kader pouvait se proclamer le Maitre de l'Heure, page 30 du manuscrit).

يستشف من محتوى "المصدر" – موضوع الوصف والتحليل- أن هزيمة المقطع أدت إلى نتائج مباشرة في سياسة فرنسا اتجاه نشاط الأمير عبد القادر بعزل تريزال وتعويضه بلامورسيير (lamoriciere) وتعين المارشال كلوزيل قائدا عاما للجيش في الجزائر، هذا الأخير الذي أراد أن يمحي عار الهزيمة المذكورة ويظهر قوة الاستعمار الحقيقية مع استعمال أساليب التدمير والقتل والحرق.

حضور هذا "الفيلق الثاني لسرايا الخيالة والمشاة" بإقليم وهران سيحظى باهتمام كبير وعناية فائقة من حكومة فرنسا بتحسين قدرته القتالية (من ضباط سامين وتدريبات وعتاد دفاعي وهجومي حديث كالمدفعية والبنادق والسيوف الجديدة المستوردة من فرنسا بالإضافة إلى استراد واقتناء الخيول

واللباس والأدوية والممرضين والأطباء العسكريين؛ فيبد وأن إعداد هذا الفيلق المتنقل-

- le2eme Régiment de chasseurs d'Afrique وتنظيمه باستمرار إنما يفسر تحضير إستراتيجية عسكرية ذات البعد الطويل لمواجهة الأمير عبد القادر والقضاء على مقاومته داخل ربوع هذا الإقليم.

فالقرار والتخطيط نابع– في نظرنا- من باريس باعتبار أن الأبناء الثلاث للملك لويس العاشر هم الذين سيتولون شرف قيادة الحملات الكبرى ضد مدن وأحواز كل من معسكر وتلمسان (مع الدوق دورليان–le duc d'Orléans) و"تاكدمت" (مع الدوق دونومور–le duc de Nemours) وزمالة الأمير؛ العاصمة مع الدوق دومال (Le Duc d'Aumale) وذلك طيلة عقد كامل من 1835 إلى 1845؛ أو بمعنى آخر هو التخطيط لإجهاض دولة الأمير عبد القادر الفتية والمتنامية وتحطيم مؤسساتها خصوصا عندما نعرف– تاريخيا- أن معاهدة ديميشال الموقعة في 26 فبراير 1834 قد اعترفت بسلطة الأمير على مدن تلمسان ولمدية وملیانة بالإضافة إلى حصوله على حق التمثيل الدبلوماسي وحرية التجارة وشراء السلاح من طنجة وجبل طارق والمغربفاستطاع أن يقيم على أثرها المصانع الحربية وان يجلب الضباط من أوربا لتدريب جيشه النظامي، ومراسلا بعض الدول العظمى آنذاك مثل اسبانيا وبريطانيا وأمريكا.

والمصدر المذكور –محل الوصف والتحليل– يتطرق ضمنيا إلى مخططات عدوانية أخرى من قبل الفرنسيين بضرب الأميروإضعاف قدراته خدمة لمصلحتهم وذلك لضرب طرف جزائري بآخر مع إقامة المكاتب العربية لإرهاب السكان والتجسس على حركة الأسواق والمقاومة، فوجد الفرنسيون من الطامعين في السلطة من الجزائريين والذين أخذ بعضهم يؤلف مايمكن تسميته حلفا مواليا للجيوش الفرنسية، أولئك الذين أخذوا يعتمدون على السلطة الفرنسية في النفوذ والثروة والبقاء. يحل هذا عمليا عندما لاحظ الفرنسيون ذلك الخلاف الموجود بين صفوف " لحضر" بين العنصر العربي

وعنصر "الكراغلة" وفي صفوف القبائل بين المخزنية والرعية وبين "الاجواد" و" المرابطين" وحتى بين صفوف المرابطين بين القادرية والتيجانية.

فالعشرية المشار إليها1835 -1845، بل ومنذ مبايعة الأمير عبد القادر، برزت الشخصيات المخالفة والمنافسة للأمير، منها الأغا مصطفى بن إسماعيل مع جنده الكبير المتمثل في "دواير وزمالة" والشيخ أغا المزاري وإبراهيم بوشناق من بقايا الأتراك وغيرهم، وه والسند القوي والقتالي الذي سيشارك في المعارك الكبرى ضد جيوش الأمير ويصاحب جنبا إلى جنب جيوش الاحتلال في حمالاتها العسكرية الاستعمارية في ربوع الإقليم الوهراني، مقدما لها كل أشكال العون من مقاتلين وجواسيس تفيدها عن القبائل والأسر الجزائرية والشيوخ والزعامات الوطنية.

فكما أسلفنا الحديث فان الإستراتيجية الحربية –رسميا- سيتنفذ على المحاور الأربع كما يتطرق إليها "مصدر" وزارة الحربية الفرنسية وهي:

أولا- الحملة التدميرية على مدينة معسكر وأحوازها. عاصمة الأمير عبد القادر.

تنجز هذه الحملة مباشرة بعد تعيين كلوزيل (Clouzel) قائدا عاما لجيوش إفريقيا يوم 28 جوان 1835وتحت الاسم الشرفي للدوق أورليان (le DuC d' Orléans). وبعد أزيد من عشرة أيام (حتى 9 ديسمبر 1835) من مسيرة "الفيلق" اتجاه مدينة معسكر تحت قيادة الكولونيل لوفيبوردوقوي (Lefébure de gouy) لجيش قوامه 10.000 محارب وبمساعدة ثلاث كتائب من "قتلة الزوواف" المرتزقة. تنفذ الجريمة الشنعاء بدك المدينة وحرق مستودعات الذخيرة والبارود وإتلاف مؤن وممتلكات المواطنين؛ وتوجت العملية بإضرام النيران داخل "القصبة" والبيوت؛ هذا وكان الأمير عبد القادر كان قد أعطى أوامرهلإخلاء المدينة من سكانها (من صفحة 47 من المصدر).

ثانيا: الاستيلاء على مدينة تلمسان، عاصمة الخليفة البوحميدي

دخلت القوات الفرنسية مدينة تلمسان يوم 13 ديسمبر 1835 وبقيت بهاطيلة شهر جانفي 1836 وهي مهجورة من سكانها من "لحضر" الذي

صاحبوا الأمير وخليفته البوحميدي.وبقي داخل "المشور" بقايا الأتراك و"الكراغلة" واليهود الذين استسلموا وقبلوا بسلطة الأغا مصطفى بن إسماعيل وقوته من "دواير وزمالة ".

إلا أن إستراتيجية الأمير عبد القادر وقواته (12000 محارب و1500 فارس) ظلت مرابطة بضواحي المدينة من الرمشيإلى ميناء رشقون وعلى ضفاف واد تافنة طيلة شتاء (جانفي) 1835. فخطة الأمير اعتمدت على مناوشة فرق الجيوش الفرنسية ومضايقتها باستمرار مستعملا أسلوب الكر والفر بنجاح. ويشير " المصدر" أن الجيش الفرنسي جابه أثناء عودته اتجاه وهران قوات الأمير النظامية مع بني عامر بالمالح (Rio – Salado) يوم 8 فبراير من نفس السنة.

وللتظاهر بقوة الجيش الفرنسي ووجوده أمر الدوق دورليان الجنرال باريق و(Perrégaux) بالسير اتجاه منطقة "مينا" و"الشلف" يومي 4 و6 مارس للاستطلاع. وهي العملية التي أتلفت ممتلكات وخيم سكان لغرابة واستولت على محصول الحيوانات بضواحي سيق أثناء عودة "سرايا الخيالة" إلى وهران مرورا بمدينة مستغانم يوم 3 أفريل 1835 ('صفحة 62 و63 من المصدر).

وإذا استثنينا الاستطراد التاريخي حول ما عاناه الأمير عبد القادر من صعوبات أملتها ظروف الحرب، ذلك أن احتلال مدينتي معسكر وتلمسان قد أضر بسمعة الأمير، كما لوحظ انحلال عرى بعض التحالفات القديمة (نموذج محمد بن عبد الله والحاجي أحمد) وإظهار التعاون مع العد وومناوئة القبائل المخزنية له باستمرار.إلاأن إصابة الأمير بالخسارة الكبيرة في جيشه أثناء معركة- بل معارك- "الزقاق" خلال شهري أفريل وماي ومن عام 1836 بمنطقة وادي تافنة- رغم بقاء قوة جيوشه في صحة جيدة للقتال- وهي التي أملت عليه عملية نقل عاصمته إلى مدينة داخلية بعيدة عن السواحل حيث تواجد جيوش العد والفرنسي ويجعل خطوط المواصلات لديه صعبة بمكان (من صفحة65 إلى صفحة72 من" المصدر").

اتخذ الأمير من تاقدمت عاصمة جديدة له للمقاومة، وبعد أن أمضى هدنة مع الفرنسيين في شخص بوجو(Bugeaud)عرفت بمعاهدة تافنة يوم1 جوان 1837 (صفحة 72 من "المصدر")؛حيث لعب قناصلةالأمير بأرزيو ووهران والجزائر بالتحضير مسبقا لهذه الهدنة.فحقق الأمير نتيجة ذلك السلام الذي كان يبحث عنه مع الاعتراف بسلطته وسيادته على معظم القطر الجزائري وعلى قطاعي كل من وهران والتيطري، باستثناء المدن الساحلية الرئيسية.

ثالثا:جريمة تدمير عاصمة الأمير، تاقدمت

سبقت عملية التدمير هذه، عمليات تأديبية وحملات دموية في جهات مختلفة من القطاع الوهراني فيما بين 1837 و1841، سواء من قبل الجيش الفرنسي – كما حصل مع "أولادأورایاح" بضواحي تلمسان ومع "سكان" غريس بضواحي مدينة معسكر وسيق وأطراف "سبخة وهران" وأولاد غالفة- أو من قبل القبائل المخزنية وفلول زواوة الملتوين تحت السلطة الفرنسية مع فرق "خيالة صبايحية" والأتراك النظاميين وهي الأطراف من الجزائريين التي أنيطت لها عملية إخضاع القبائل والفلاحين بالقوة والدم؛ فتخرج الفرسان والمشاة في حملات ليلية أو نهارية مدمرة للأملاك ومنتقمة، فتعاقب بلا شرع وتنهب بلا حدود وتغز وبلا أخلاق – دور المكاتب العربية لاحقا- (صفحة83 و84 من المصدر).

يسَجِّل بأن الأمير عاود الرجوع إلى مدينة معسكر لا عمارها وذلك خلال شهر ديسمبر من عام 1840، كما يسجل بأنه أعاد تنظيم الثغور و"المرابطة" عبر النواحي الخاضعة له لمراقبة العد ووالاصطدام معه عند الضرورة كما حصل في مناوشات كثيرة مع الجيوش الفرنسية بقيادة لامورسيير والكولونيل بوفور (Beaufort) وتحت رئاسة الجنرال بوج وخلال فترات منقطعة من شهور جانفي ومارس وأفريل عام 1841؛ خرجت هذه الفرقة العسكرية (la Division) إلى المناطق الداخلية باتجاه معسكر بدعوة "الاكتشاف" وترصد الأخبار عن نشاط الأمير عبد القادر وجيوشه، تفاديا لأي طارئ أو خطورة تأتي من قبله.

أثبتت التحضيرات والاستعدادات الكبيرة–كما أسلفنا- للقوى القتالية بالنسبة للواء الجيش الفرنسي بوهران (Division d'Oran) من تدريبات واقتناء للسلاح الجديد من مدفعية وبنادق وسهام وسيوف وخيول وألبسة ومؤن وعتاد طبي– وغيره- إنما يفسر في النهاية تطبيق تخطيط عدواني ضد دولة الأمير وذلك في إستراتيجية طويلة الأبعاد لشل نشاطه وإرغامه على الاستسلام.

حضرَ الجيش وانطلقت "مسيرة الدمار" نحو عاصمة الأمير "تاقدمت" تحت أوامر بوج ووقيادة لامورسيين وابن الملك الدوق دونومور(le Duc de Nemours) سالكة جبال الأطلس ومروا بوادي" مينا" مستغرقة 12 يوما من السير (من11 وإلى 23 ماي 1841). ولكن تحت مراقبة 3000 فارس نظامي من جيوش الأمير.

بنى الأمير عبد القادر عاصمته " تاقدمت" بجبال "سفالو" (Seffalou) حيث أحياها وحصنها وحمل العائلات من معسكر وغيرها على الإقامة فيها، فنشأت بها الأسواق والدكاكين والفنادق والصناعات المحلية والحربية، ولقد بنى بها دارا لضرب السكة؛ فاعتبرت تاكدمت من أهم المواقع العسكرية الجنوبية ومركزا هاما للتبادل التجاري بين القبائل الصحراوية والتل على غرار مدن أخرى مثل سبد ووتازة في جنوب ثنية الحد وبوغار.

حصل الزحف نح و"تاقدمت" –حسب المصدر-، فإذا هي خالية من قاطنيها إذ سجل تبادل إطلاق النار بين حوالي 3000 من خيالة الأمير مع فرق زواوة ترجم بأنه معارك معزولة مع الجزائريين دفاعا عن أملاكهم.

وبعد عملية تفتيش دقيقة لمصانع الأسلحة ومستودعات ذخيرة البارود والآلات الصناعية باشر جنود الجيش عملية التدمير للعمران وأعطى الجنرال بوج وفي النهاية أوامر.لحرق المدينة وه والحريق الذي طال حتى صبيحة الغد (صفحة89 من المصدر).

وبعد رجوع الجيوش الفرنسية الغازية إلى وهران، وتحت نشوة الانتصار والقوة يأمر الجنرال لامورسيير وبعد ثلاثة أشهر من حصول "جريمة تاقدمت" بجريمة دامية أخرى ضد قبائل "فليتا" المجاهدة وعلى مرحلتين (سبتمبر وأكتوبر) حيث أوكلت المهمة إلى "فيلق الخيالة" وإلى فرق "دواير وزمالة" المرافقة له، حيث تفننت في القتل والبطش اتجاه الثائرين والمجاهدين الموالين للأمير.

رابعا: تدمير وإبادة " زمالة الأمير عبد القادر، العاصمة المتنقلة

هي العاصمة والدولة الآمنة للأمير عبد القادر بعيدا عن أهوال الحروب الدائرة عبر نواحي إقليم وهران والتيطري؛ حيث سعى الأمير أن تكون متنقلة لعدم وجود الأمن. وهي العاصمة التي اشتملت على المنشات والمؤسسات العمومية من مدارس ومساجد ومدابغ الأسلحة ومدافع ومتاجر ودكاكين للخياطين والحدادين. كما احتضنت العاصمة في عمرانها على نحو300 دوار تقيم بها كثافة سكانية بلغت100.000 نسمة.

فهواجس ابن الملك فيلب وهو لدوق دومال(le Duc d'Amale) كان يرى في تجديد الحرب مع الأمير عبد القادر منذ 1839 ووصول الجنرال بوج وللجزائر 1841، دافعا لاعتماد حكومة فرنسا سياسة الاحتلال الكامل لقهر وسحق أي انتفاضة أو ثورة تعيق هذا المشروع الاستعماري.فتمت تعبئة جيش من مركز بوغار تعداده 1300 من المقاتلين المشاة و600 من الخيالة وفرق من صبايحية تصحبهم فرقة من مدفع الميدان.

فحسب الروايات، فان المباغتة من طرف الجيش الفرنسي على العاصمة– زمالة مع إطلاق النار المكثف خلق حالة فوضى لاتوصف. وكان الجيش مستعجلا لإتمام جرائمه بقتل حوالي 300 فردا وأسر 3601 من السكان، نساء وأطفالا من بينهم موظفي الأمير كمحمد بن علال ومحمد الخروبي وقدور بن رويلية. كما سجل من بين الأسرى والدي الأمير وضباطه وعائلات كبار القادة.

وهذه الحملة الإجرامية حملت معها عملية إجرامية أخرى ذات طابع ثقافي – حضاري تمثلت في سلب وسرقة محتوى مكتبة الأمير عبد القادر التي كانت تحوى على أنذر المخطوطات العربية والإسلامية التي استولى عليها ابن الملك وبعث بمحتواها إلى أبيه(!)؛ كما تعرض قسم كبير من الكتب والمخطوطات للضياع والإتلاف.

-خلاصة التحليل الوصفي للمصدر " المنسوخ"

يلاحظ أنه بعد إنجاز هذه العمليات الإجرامية والدامية التي عولجت – مستخلصة- خلال المرحلة التاريخية الممتدة بين 1831 إلى 1844 (معارك اسلي ISLY) من الصفحة الأولى وإلى صفحة من 102. خصص المصدر المذكور حوالي عشرين صفحة من 102 إلى 120 عولج طيها دور القادة العسكريين مثل بوج وولامورسيير وروندون وكافيينياك وغيرهم من الضباط الذين أسندت لهم مهام إخضاع كل المناطق في القطاع الوهراني–بل وكل القطر الجزائري –لسحق أي ثورة أو انتفاضة وتأديب القبائل المترددة والتي تجرؤ لمحاربة الجيوش الغازية أو تقدم أي دعم أو مساندة للثوار المجاهدين من الجزائريين.

ويقدم "المصدر" نماذج أخر عن الوضع السائد من ألاً استقرار في إقليم وهران – والجزائر بأشملها- خلال فترة الأربعينيات من القرن التاسع عشر ومابعدها (أي 1847) لان روح المقاومة الوطنية لازالت متأججة في الأرياف والجبال من "شلف" و"مينا" إلى "واد رهيو". ومن معسكر، فغريس حتى "مشرية الخيل" و"الهبرة" وضفاف "سيق". وفي جبال ترارة وقبائل مسيردة ومغنية ووادي تافنة- حيث وجود الأمير عبد القادر وتسجيل انتصار له في معركة سيدي يوسف في 22 سبتمبر 1842، ووادي الزيتون وحتى حمام بوحجر (قرب المالح حيث مرابطة خليفة الأمير محمد بن علال بن سيد مبارك الذي اشتهر ببسالته في مقارعة فلول الجيوش الفرنسية. وهكذا....

ويسجل المصدر أيضا بروز قيادات عسكرية جديدة مثل بودو(Budeau) وموريس(Morris) والكولونيل أربوفيل(Arbouville) لتحقيق المشروع القاضي

بإتباع أنواع الحروب والغز ووالحملات لإجبار المقاومة الوطنية لوضع السلاح وتسليم البلاد وهذا من خلال تطبيق سياسة الأرض المحروقة والعقاب الجماعي كما ه ومعروف تاريخيا.

-خاتمة

وهذه الانجازات الإجراميةاعتبرت كلها في نظر الساسة والقادة العسكريين من الفرنسيين "كأكبر المعارك المشرفة"؛ إلاأن المؤرخين النزهاء والأكاديميين– والتاريخ الإنساني- يعتبرون كل ما حصل في الجزائر إن هي إلا:" عمليات إجرامية في حق الحضارة والعمران والثقافية."